

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# الزَّهْرَاءُ

## سَيِّدَةُ النِّسَاءِ

الجزء الثالث

المراجع الديني للمسلمين

الشيخ صالح الطائي

للسنة والفقه والاصول والتفسير والادب

## ضارباً ثبجهم<sup>(134)</sup>، أخذاً باكظامهم<sup>(135)</sup>.

(134) الثبج: معظم الشيء ومعاليه.

والفقرة من الخطبة بيان وتوكيد لجهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تحدي قريش ومحاربة المشركين، أنها تذكير واستحضار لمحاربة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمشركين و قتله لرؤوسهم وكبرائهم، وعلى سبيل المثال لا الحصر كان عدد قتلى المشركين في معركة بدر سبعين رجلاً، ومثلهم الاسرى، و به قال ابن عباس ، منهم ابو جهل والنضر بن الحارث وحنظلة بن أبي سفيان بن حرب، وعتبة بن ربيعة بن عبد شمس وغيرهم ممن كانت لهم السطوة والنفوذ والشان في قريش والقبائل العربية الأخرى.

(135) الكظم – بالتحريك – مخرج النفس من الحلق، وفي الخبر : (له)

التوبة ما لم يؤخذ بكظمه) أي ساعة خروج روحه وانقطاع نفسه.

وأخذاً باكظامهم : أي لم يبق لاكثرهم خبر ولا اثر، لقد كانت قريش من اعز القبائل العربية وتتولى شطراً كبيراً من التجارة في الجزيرة العربية وما يحتاج اليه اهل الشام والهند مما

## داعياً الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة<sup>(136)</sup>.

ينتج فيها، ويبيدهم سدانة البيت الحرام وهم أهله واصحاب الفصل في مكة وما حواليتها، فكان لمحاربتهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم اثر كبيراً، وكذا يجب ان يكون لولا العناية الإلهية.

ولم يتخذ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم منهم موقفاً محايداً او يطلب منهم ذلك، بل انه بدأ بهم انذاراً وتحذيراً ودعوة للاسلام بصيغ الدعوة المتعددة متدرجة نحو آلة السيف، فكانوا امام أمرين لا ثالث لهما اما الدخول في الاسلام، او تعريض انفسهم للهلاك لأنهم من عبدة الأوثان.

والفقرة من الخطبة الشريفة تبين جهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم للكفار والنصر العظيم الذي ناله ، وما لحق بالكفار والمشركين من الهزيمة والخسران.

انها بيان لصفحات اليسر في مواطن الجهاد عقيب ب وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الذي انجزه صلى الله عليه وآله وسلم

في ميادين الفتح وترسخت بفضلته تعالى دعائم الدين، وفيها دعوة لهم لمواصلة الجهاد وعدم القنوط او القنوط.

(136) الفقرة من الخطبة الشريفة اقتباس من قوله تعالى **[ ادْعُ إِلَى**

**سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ .. ]**<sup>(1)</sup>، وفسرت الحكمة في المقام بالقرآن لما فيه من الحث على الصالحات والنهي عن القبيح والمنكر، وهو صحيح بلحاظ اعتبار القرآن تبيان كل شيء.

**يكسر الأصنام** (137).

والموعظة الحسنة الدعوة بصيغ الترغيب والصدق والبرهان والنصيحة ولين الجانب وفي الحديث : (أمرنا معاشر الأنبياء ان نكلم الناس على قدر عقولهم ). وعن ابن عباس : (ان الحكمة هي النبوة، والموعظة الحسنة مواظب القرآن).

لقد جاهد النبي صلى الله عليه واله وسلم في الدعوة الى دين الله بالحكمة والآيات والحجج والبراهين كما كانت الدعوة بالسيف، وسعى بجد متواصل الى صرف الناس عن الشرك والضلالة وفعل المنكر،

وقد مدحه الله عز وجل بما ورد في التنزيل **[ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ]**<sup>(2)</sup>.

(137) الاصنام : جمع صنم، وهو ما كان يُعبد من دون الله مما كان له صورة من حجر او صفر، ومثله الوثن، وقيل ان الوثن ما لا يكون له صورة، وقد تقدم الكلام فيه.

لقد كانت ظاهرة الاصنام وعبادتها والتقرب والتوسل بها منتشرة في الجزيرة العربية، وهو نوع شرك وجهل، وكانت تحتل مكانة وشأناً في حياة العرب الفكرية والسياسية والاجتماعية، بل ولها منزلة في نفوسهم خاصة وان بعض القبائل اتخذت لها صنماً خاصاً تعرف به، مما اصبح من العسير ان يقوم شخص او جماعة على فرض وجود تلك الجماعة بازالة هذه المظاهر التي تترسخ بالتوارث وتعاقب

السنين **[ قَالُوا اجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يُعْبَدُ آبَاءَنَا ]**<sup>(3)</sup>.

(1) سورة النحل 125.

(2) سورة القلم 4.

(3) سورة الأعراف 70.

## وينكث الهام (138).

ان من اهم وظائف النبوة القضاء على معالم الشرك ومفاهيمه ومدلولاته الالتزامية والتضمنية، وفي ذلك انتقال وتغيير جذري باتجاه الرشاد والصلاح والفلاح ولكن تلك الاعباء تحتاج الى جهاد متصل واستعداد للتضحية وقوة واهلية للزعامة وقدرة على التغيير.

وقد قام الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم بذلك احسن قيام فزال عباد الاصنام دفعة واحدة بفضلته تعالى بعد ان كانت تفتت قيمها ووصلت اشخاصها الى البيت الحرام.

عن ابن عباس قال : (دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة يوم الفتح على راحته، فطاف على بها وحول البيت اصنام مشدودة بالرصاص، فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشير بقضيب في يده الى الاصنام ويقول : جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً، فما أشار الى صنم منها في وجهه إلا وقع لقاها، ولا اشار الى قفاها إلا وقع لوجهه حتى ما يبقى منها صنم إلا وقع (ع)، فقال تميم بن اسد الخزاعي:

وفي الاصنام مُعتبر ويلكم

(١) لمن يرجو الثواب او العقابا

## (138) النكث: النقض، والهام: جمع هامة وهي الراس.

والفقرة من الخطبة الشريفة اعلان وتذكير بما فعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمشركين من قطع الرؤوس واجتثاثهم من الارض.

حتى انهزم الجمع وولوا الدبر (139)، حتى يفرى الليل عن صبحه

واسفر الحق عن محضه (140).

وفيها اشارة وإيحاء الى الصحابة بان خطر المشركين قد زال عنكم، وان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يغادر الى الرفيق الاعلى إلا وقد مهد لكم الامور وسهل لكم نشر احكام الدين ، والتنعيم باداء الفرائض من غير خوف من عدو ذي شوكة.

لقد انتقل الاسلام في أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم المباركة من الغربية الى القوة ، ومن تعرضه والمسلمين الى الاضطهاد والافتراء

الى السيادة والعز والظفر.  
(139) يقال انهزم الجيش: أي انكسر ولاذ افراده بالفيوار.  
والجمع: إسم لجماعة الناس، وقد يأتي مصدرأ، والدبر خلاف القبل  
وهو هنا بمعنى الهزيمة.

والفقرة من الخطبة الشريفة اقتباس من قوله تعالى

**نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ \* سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ** [١].

لقد جاهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكفار حتى هزمهم في بدر  
وحنين وغيرهما وانحسر حضورهم السياسي وانهدم كياناتهم العقائدية  
والاجتماعية ودخل الناس الاسلام افواجا وجماعات.  
(140) التفري من الفري وهو في الاصل القطع.  
والاسفار: الانكشاف يقال: اسفر الصبح اذا انكشف واضاء.  
والمحض: الخالص الذي لم يخالطه شيء وفي الحديث (امحض أخاك  
المودة).

ونطق زعيم الدين [١٤١]

والفقرة من الخطبة الشريفة تشير الى انتهاء عصر الجاهلية والوثنية  
البغيضة بفجر الاسلام وبالجهاد اليومي الدؤوب للنبي الاكرم صلى  
الله عليه وآله وسلم، والى رسوخ الاسلام وتثبيت النبي صلى الله  
عليه وآله وسلم لاركانه، (فعند نزول سورة النصر

**وَإِلْفَتْحُ** [ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نعت إلي نفسي،

فجاء الى مسجد الخيف وجمع الناس ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم :  
نصر الله امرء سمع مقالتي فوعاها وبلغها من لم يسمعها، فرب حامل  
فقه غير فقيه، ورب حامل فقه الى من هو افقه منه، ثلاث لا يغل  
عليها قلب امرء مسلم، إخلاص العمل لله، والنصيحة لائمة المسلمين،  
واللزوم لجماعتهم، فان دعوتهم محيطه من ورائهم - ايها الناس اني  
تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ، كتاب الله وعترتي  
أهل بيتي، فانه قد نباني اللطيف الخبير انهما لن يفترقا حتى يردا علي  
الحوض كاصبعي هاتين - وجمع بين سبائتيه - وإلا كهاتين - وجمع  
بين سبائتيه والوسطى - فتفضل هذه على هذه) (١).

(141) الزعيم : السيد والضمين والكفيل، جاء هنا استعارة وعنواناً لسيادة

احكام الاسلام.

لقد بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ربه وجاهد بنفسه واهل بيته واصحابه حتى علت راية الاسلام وسادت احكامه الجزيرة وما حولها، واصبحت احكام الشريعة الاسلامية هي الاساس والمرجع في المعاملات بعد تسليم الناس بالشهادتين وادائهم الفرائض.

### وخرست شقاشق الشيطان<sup>(142)</sup>.

(142) الشقاشق : جمع شقشقة بالكسر، التي يخرجها الجمل العربي من جوفه ينفخ فيها اذا هاج فتظهر من شدقه، ومنه سُميت احدى خطب الإمام علي عليه السلام بالشقشقية لقوله في خاتمتها تعقيباً واستعارة : (تلك شقشقة هدرت ثم قرت).

والشيطان : كل عات متمرد من ال جن والإنس واصله من الشطن وهو البعد، أي انه بنعت التشيطان ابتعد عن الصلاح وعن رحمة الله، لقد كانت قيم التخلف ومعالم الرذيلة والفجور والوثنية هي المنتشرة قبل الاسلام من غير رادع او ناهي ذاتي او خارجي، عقائدي او اجتماعي.

وكانت مظاهر الفسوق تتفشى بين الناس واصب حوا يألون افرادها مما يئذر بالمخاطر الجسيمة وسوء العاقبة الجماعي، فجاء الاسلام ليشرق على النفوس ويعرض عليها الهداية والإيمان، وواجهته قوى الضلالة واعوان الشيطان ومن تغذى بأخلاق الوثنية وحمل سمات الجهالة، فحاربوا الاسلام في أيامه الاولى وأذوا النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم واجتمعوا على وأد الاسلام حتى انهم اتفقوا على قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم واقدموا على ذلك فعلاً، لولا العناية الإلهية بخروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة ليلتها بأمر منه تعالى، ومبيت علي عليه السلام في فراشه تورية وتصدياً وتحدياً واستثماراً للوقت حتى يبتعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن منطقة الخطر، ولكي لا تطاله أيدي مرده العرب واعوان الشيطان. ولم يقفوا عند هذا الحد بل تجاوزوا قدرهم وجاءوا لمحاربة الاسلام في المدينة لما اغاظهم من اتساع سلطانه واقبال الناس

### وطاح وشيظ النفاق<sup>(143)</sup>. وانحلت عقد الكفر والشقاق<sup>(144)</sup>.

عليه، فسار لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقاتلهم في بدر

إذ تقول

وهزمهم بأية منه تعالى وبمدد من الملائكة، قال تعالى

لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُكْفِيَكُمْ أَنْ يُدْعِيَكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آيَاتٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَّلِينَ [١].

(143) يقال طاح يطوح وبطيح اذا هلك وسقط.

والوشيط: الرذال والسفلة من الناس.

والنفاق اصله من النفق وهو السرب في الارض ، وفي الاصطلاح الاستتار بالاسلام واطهار ما يدل على الإيمان مع اخفاء الكفر والميل اليه.

(144) انحلت ا لعقدة أي انفتحت، والشقاق المخالفة وكانه في شق غير

الشق الانسب ، وفي الحديث: (اعوذ بك من الشقاق والنفاق).

لقد انعم الله عز وجل على اهل الارض برسوله الكريم هادياً ومنذراً ومبشراً، جاهد الكفار والمنافقين وقضى على رؤوس الضلالة واهل الحل والعقد من الكفار لتبقى كلمة التوحيد هي العليا.

لقد انهارت اندية الكفر وتفرقت واضمحلت رايات الكفر والجحود

التي كانت سائدة قبل الاسلام وتلك التي واجهته في سنيه الاولى وأيام نشأته بالجهاد المتصل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهو لم يركن اليهم ولم تأخذه فيهم لومة لائم، ولم يتر كهم في حال يستطيعون معها محاولة وأد الاسلام او محاربتة.

وفهم بكلمة الإخلاص<sup>(145)</sup>، في نفر من البيض الخماص<sup>(146)</sup>.

(145) كلمة الإخلاص هي عقيدة التوحيد وفي تسمية [ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ]

بسورة الإخلاص قيل لان الالفاظ بها قد أخلص التوحيد لله تعالى.

وتتض من الفقرة من الدعاء مدحاً للصحابة من المهاجرين والأنصار

الذين بادروا الى النطق بالشهادتين والتسليم للنبوة والإنقياد لاحكام

الرسالة وساروا في سرايا الجهاد، او انها جاءت للتذكير وإقامة الحجة

وتجديد الولاء للاسلام، او للأمرين معاً، وفيها اشارة للتسبيب في

الجم ع والتوجيه المباشر من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وهو الواسطة لنيل الثواب في الجهاد.

(146) النفر : الجماعة، وقد حده بعضهم بالعدد من ثلاثة الى عشرة، وقيل

الى سبعة ، ولا يقال نفر فيما زاد على العشرة، وانه يتعلق بالعاقل،

ولكن ذكر النفر في الحديث للرجال لا يعني حصره بالعاقل انما يعم

غيره كما في الفقرة اعلاه، وتدل على ان النفر يشمل ما زاد على

العشرة، لان سرايا المسلمين كانت بأعداد من الخيول غير قليلة، الا ان يكون المقصود قلة خيول المسلمين في معارك الاسلام الاولى.  
 البيض : جمع أبيض، وهو افضل لون عند العرب ورمز الفضل،  
 والمقصود هنا صفة الخيل التي يركبها المسلمون لاغراض الجهاد والغزو والفتح.  
 والخماص : جمع خميص وهو الضامر البطن، وفي المقام رمز لكثرة الجري والركوب.

**[ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ]** <sup>(147)</sup>.

لقد اتعب المسلمون الاوائل انفسهم وخيولهم في ال جهاد المتواصل في سبيل الله، لم يهنوا ولم يكلوا، نذروا انفسهم واموالهم في الدعوة الى الاسلام.

انها لغة في الانصاف والاكرام اتقن اهل البيت عليهم السلام اداءها وتعليم الناس اصولها، اتنت الزهراء عليها السلام عليهم لجهادهم ونصيحتهم في دين الله عز وجل من دون ان تنسى الإشارة ذات طابع الحجة الى فضل الله ورسوله عليهم في اتخاذ الجهاد سبيلاً الى الصلاح والفلاح في الدارين.

(147) الفقرة من الخطبة اقتباس من قوله تعالى **[ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ**

**مِنَ النَّارِ فَانقَذَكُمْ مِنْهَا ]** <sup>(1)</sup>، وشفأ الشيء جرفه وحافته.

والحفرة - بضم الحاء وسكون الفاء - البقعة الصغيرة في الارض المنزوع عنها ترابها.

لقد كان العرب اهل جاهلية ويتخذون من الاصنام آلهة مما يسوقهم الى النار عاقبة وعقاباً أخروياً، فجاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رسولاً من عند الله وهادياً الى الصراط القويم، وك نجاتهم، وباتباعه رشادهم وهدايتهم بعد ان كاد الكفر يطبق على الجزيرة وتستعصي معالجة احوالهم واصلاح اذهانهم.

وفي الآية اعلاه ورد في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام :  
 (وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم).

**مُدَّة الشارب ونهزة الطامع** <sup>(148)</sup>.

## الثالث

(148) المُذقة - بضم الميم او فتحها - الشربة من اللبن المزوج بالماء، وفي الحديث : (وما هي إلا كمذقة الشارب ) - والضمير عائد الى الدنيا.

والنهزة - بالضم - الفرصة التي تكون صالحة زماناً او مكاناً للاغتنام والنفع والمبادرة بما فيه الفائدة.

من مظاهر الجاهلية ونتائجها ان تفرقت العرب الى قبائل يغزو بعضها بعضاً في مجتمع تسوده البغضاء والاحقاد والتفاخر بغير الحق، مما جعلهم مطمئناً قريباً ومناًلاً سهلاً لاعدائهم خاصة الدولة الرومانية في الغرب والدولة الفارسية فيما جاورهم من جهة الشرق، وعانوا احياً نأ الجور والتبعية والانصياع والانقياد للغير الذي سخرهم احياناً لاغراضه ومصالحه، فجاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة من عند الله عز وجل فاصبح العرب اعزة بالاسلام، لا يستطيع الاعداء النيل منهم بل أخذ ملوك الروم وفارس يخشون الاسلام والمسلمين ويخافونهم على عروشهم.

انها تذكير بعظيم المنافع الدنيوية والأخروية للبعثة النبوية المباركة ودراسة مقارنة لاحوال العرب قبل الاسلام وبعده، وانهم كانوا مهتدين بالتشنت ودوام الفرقة وتعدد وجوه الولاء لاعدائهم لولا ان انعم الله عليهم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم مبشراً وهادياً وزعيماً وقائداً في مسالك الإيمان والعز والتوفيق.

ترى ما هو حال وشأن اللغة العربية ذاتها في هذا الزمان لولا الاسلام ونزول القرآن عربياً، فلقد حفظها وتعاهدها وخلدها القرآن والمسلمون.

وقبسة العجلان، وموطئ الاقدام<sup>(149)</sup>، تشربون الطرق، وتقاتون

القد<sup>(150)</sup>.

(149) القبسة - بالضم - الشعلة من النار تؤخذ من معظمها، ومنه اقتبس منه علماء أي استفاد.

وطئه يطئه وطأ: داسه.

والفقرة من الخطبة تذكير بحال العرب قبل الاسلام ومظاهر الضعف والتفكك التي كانت تحيط بمجتمعاتهم وما أدت اليه من تجراً اعدائهم عليهم واستضعافهم.

(150) الطرُق - بفتحتين - المستنقع والمخاضة التي تبول فيها الابل.

والقد - كفلس - جلد السخلة، وذكر الطرق والقد في المقام من باب

المثال وليس الحصر .

والفقرة من الخطبة بيان للحالة المعاشية البائسة ، والمستوى الاقتصادي المتردي للعرب عامة والصحابة منهم وما كانوا يعانونه من الفقر والعوز والجوع، وتوكيد وتذكير بالنعم التي توالى عليهم بالاسلام وما فيه من الفتوحات والغنائم، انها مناسبة لشكره تعالى وتجسيد للثناء بالسعي لتعاهد تلك النعم بالمحافظة على شعائر الاسلام ومجازاة النبوة بإكرام اهل البيت عليهم السلام والافتداء بهم قال تعالى

**[ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ]** <sup>(1)</sup>.

أذلة خاسئين تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم <sup>(151)</sup>، فانذركم  
الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد اللتيا  
والتي <sup>(152)</sup>.

(151) الذل: الانقياد والهوان.

وخاسئون : جمع خاسئ وهو الصاغر المفتقر الى القدرة على الخروج من منازل الاندحار .  
ويتخطف أي يستلب .

والفقرة من الخطبة بيان لحالتهم السياسية وما كانوا يعيشونه من الذل والضعف والفرقة والخوف من الآخرين والرضوخ لاوامرهم او طلباتهم، والتهديد المستمر من قبل اعدائهم الذين يحيطون ب هم قبل ان يبعث الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وآله وسلم نبياً ورسولاً، وتقوى شوكة الاسلام.

انها مقارنة تاريخية وسياسية واجتماعية وفق منهج العلوم التاريخية وتفسير الحقائق وتعليلها للوصول الى النتيجة وهي اثر الاسلام الايجابي وما احدثه في حياتهم من انقلاب و منافع مركبة ومتصلة، وتذكيرهم باسباب نشوء مظاهر العز والرفعة عندهم وسبل دوامها.

(152) اللتيا والتي اسمان من أسماء الدواهي، واللتيا - بالفتح والتشديد - تصغير اللتيا - وتذكيران مثلاً وكناية عن الشدائد المتعاقبة، واصل المثل ان رجلاً تزوج امرأة قصيرة فعانى منها و لاقى منها شدة فطلقها، ثم تزوج امرأة طويلة ففاسى منها شدة اكثر فطلقها وقال بعد

اللتيا والتي لا اتزوج ابداً فذهبت مثلاً.

وتبين هذه الفقرة من الخطبة الشريفة فضله تعالى على المسلمين بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والخطاب وان كان موجهاً للصحابة وهم من العرب الا القليل منهم كسلمان وبلال ولا يعني هذا حصر الانتقاد بهم بل جاء للمثال والمناسبة والغالب ، ولا مانع من النظر الى الخطاب من حيث الجهة الموجه اليها الخطاب بالمعنى الاعم لقابليته للانحلال والتعدد فيكون المقصود المسلمين ، قال تعالى

**[ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ] <sup>(١)</sup>.**

وانقاذهم هنا يتصور على شعبتين، الاولى تقهقر وضعف عدوهم ومن كان يخيفهم ويذلهم، والثانية بلوغهم منازل العز والرفاه والعيش الرغيد واصبحوا قادة وسادة الشعوب، وتفاخروا على غيرهم من الامم بالنبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، بل ان العرب انفسهم تفاخروا فيما بينهم، وبعضهم على بعض بالقرب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم نسباً وصحبة.

وبلاحظ في هذه العبارة من الخطبة أدب العبودية الذي يحسنه اهل بيت النبوة، وعدم وصول الغرور اليهم حتى عند الحديث عن احسانهم للعرب وللمسلمين، فلقد ن سبت الزهراء عليها السلام الانتقاد الى الله عز وجل، وهو الحق، وانهم بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تخلصوا من شر اعدائهم الاقوياء واصبحوا ذوي سيادة وتحملوا المسؤوليات العظام.

## وبعد ان مُني بُبهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب (153).

(153) مني ببهم ال رجال أي ابتلي بهم، والبُهم بالضم جمع بُهمة وهو المجهول الذي لا يعرف.

والمردة جمع مارد وهو المعاند الشديد ، وفي الحديث : (شهر رمضان تصفد فيه مرده الشياطين).

والفقرة من الدعاء بيان لما عناه النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم من الملاء من الكفار كقريش وبعض اهل مكة واليهود منهم خاصة، من وجوه الأذى وما يترشح عن جحودهم وما يقومون به من تحريف.

ان استحضار الزهراء عليها السلام لما لاقاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الأذى والعداء المستمر واستثمارها لمناسبة الخطبة الشريفة تجديد لمعالم النبوة وشهادة مباركة على الجهاد والاعمال العظيمة الرائدة التي انفرد بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في سبيل الله.

وربما كان فيها منع للاصوات المريية المحتملة التي تحاول ان تبخس النبوة مقامها في ذلك الانعطاف التاريخي الكبير في تأريخ اهل الارض والمسلمين منهم خاصة.

انها تذكير وثناء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقرار واعتراف بفضلته على المسلمين وهل فيها دعوة لانصاف آل محمد واکرامهم جزاءً للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتذكيراً بأية المودة، الجواب: نعم.

## كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ (154) .

(154) الفقرة من الخطبة الشريفة اقتباس من الآية الرابعة والستين من سورة المائدة، وصحيح ان صدر هذه الآية الكريمة يتعلق باليهود ومكرهم وسوء قولهم الا انها في آخرها أعم من ذلك، الأمر الذي اشارت اليه الزهراء عليها السلام حيث لم تحصر مصدر الاذى والابتلاء الذي تعرض ل ه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم باليهود او بأهل الكتاب خاصة، وفعلاً فقد كانت قريش تستعين باليهود وبارائهم لمحاربة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والاسلام. ويسعى اقطابها للتحالف والتعاقد معهم وطلب المدد المالي منهم للتصدي للاسلام.

واطفاء نار حربهم تم بك يفيات متعددة، والله واسع كريم منها ان مكن المسلمين منهم ، واقامت عليهم الحجة فاجلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بني النضير وبني قينقاع ، وقتل عتاة بني قريظة، وهزم رؤوس الكفر من قريش فاصبحوا عاجزين عن ابقاء اتقاد نار الحرب.

ومن تلك الوجوه (فدك) وهي ا لموضوع الذي جاءت الزهراء عليها السلام مطالبة بها، فقد غلب النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم عليها من غير قتال وكانت قبل ذلك آلة سياسية ومالية بيد اليهود وحلفائهم، ولتصبح خاصة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لينحلها للزهراء عليها السلام.

## او نجم قرن ا لشیطان او فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في

لهواتها (155).

(155) نجم الشيء ينجم - بالضم - نجومًا: ظهر وطلع.

والقرن: جانب الرأس.

والفغر: الفتح، ومنه حديث موسى عليه السلام : (فاذا هي حية فاغرة فاها).

وتؤكد الفقرة من الخطبة الشريفة أمرين:

الاول: توالي المكر وال كيد للاسلام من قبل اعدائه، وتتابع فتحهم لابواب الفتنة والشر والاذى.

والثاني: المنزلة الرائدة للإمام علي عليه السلام في التصدي لهذا المكر والكيد ونزوله المستمر الى ميادين المواجهة مع اعداء الاسلام ومباشرة قتالهم بتضحية وإقدام.

انها شهادة مركبة بحق أمير الم ؤمنين عليه السلام من الزهراء عليها السلام ومن الصحابة الذين حضروا هذا الاجتماع لما يدل عليه السكوت في المقام من التأييد وانعدام الخلاف ، بل ان الوقائع والأخبار تثبتته، وان علياً عليه السلام كان أخاً ووزيراً للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وليس في الكلام تعريض بغيره من الصحابة او مقارنة يقصد فيها ذلك، ولكنها عليها السلام وكما انصفت الآخرين في الجملة ، ارادت انصاف أمير المؤمنين ببيان عظيم ما قام به في بناء الاسلام وهو أمر تسالم عليه الصحابة حيث لم ينكر فضله ورجحان جهاده أحد.

ولقد ضمت كتب السيرة والتاريخ الاسلامي أخباراً كثيرة وفريدة تدل على صدق قول الزهراء عليها السلام، وان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقدم علياً عليه السلام ويبعثه في المهمات ذات المشاق لحفظ بيضة الاسلام ونشر لوائه، وفي ليلة الهجرة بذل نفسه دون نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ( وقد ورد عن ابن عباس : انه لما انطلق النبي الى الغار اقام علياً عليه السلام في مكانه وألبسه برده، فجاءت قريش تريد ان تقتل رسول الله صلى الله عليه وآله فجعلوا يرمون علياً وهم يرون انه النبي فجعل يتصور، فلما نظروا اذا هو

علي عليه السلام<sup>(1)</sup>.

وفي غزوة بدر كانت للإمام علي عليه السلام مقامات خالدة وصفحات  
تضفي عزاً وفخراً، فقد افتتح القتال بقتل علي عليه السلام للوليد بن  
عتبة لما بارزه، وفي الخبر : (ان شطراً من قتلى قريش قتلهم علي  
عليه السلام وكان مجموع قتلاهم يومئذ سبعين قتيلاً).  
وفي معركة أحد بعد ان خالف المأمورون علي بن أبي طالب وأوامر النبي  
صلى الله عليه وآله وسلم بعدم ترك مكانهم عندما رأوا الغنائم وانهمز  
المشركين بعد ان قتل علي عليه السلام حامل لوائهم طلحة بن أبي  
طلحة وعبداً لهم من بعده وكان من أشد الناس، ورمى عاصم أخوي  
طلحة بن أبي طلحة الذين حملا لوائهم فقتلها، حملها لد بن الوليد  
مع اصحابه المشركين على أمير الشعب الذي أبى ان يبرح مكانه  
فقتلوه.

وجاءوا من ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريدونه فقتل  
سبعون من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانهمز المسلمون  
إلا علياً عليه السلام واثنين معه وقيل سبعة، وأخذ الإمام علي عليه  
السلام يستقبل المشركين الذين يحملون على النبي صلى الله عليه وآله  
وسلم فيدفعهم عنه حتى انقطع سيفه، ولما انسحب المشركون الى مكة  
ورجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن بقي من اصحابه الى  
المدينة، استقبلته فاطمة عليها السلام ومعها إناء فيه ماء فغسلت  
وجهه ولحقه أمير المؤمنين ومعهم ذو الفقار وقد خضب الدم يده الى  
كتفه فقال لفاطمة عليها السلام : خذي هذا السيف قد صدقني اليوم  
وقال:

افاطمة هاك السيف غير ذميم

فلست برعديد ولا بمليم

لعمري قد اعذرت في نصر احمد

وطاعة رب بالعباد عليم

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خذيه يا فاطمة فقد ادى  
بعلك ما عليه وقد قتل الله بسيفه صناديد قريش.

وفي غزوة الاحزاب قتل الإمام علي عليه السلام عمرو بن عبد ود  
بعد ان احجم المسلمون عن مبارزته، وللنبي صلى الله عليه وآله وسلم

يومها قولان بحق علي عليه السلام:  
الأول: عند ما توجه علي عليه السلام لمبارزة عمرو بن ود قال صلى  
الله عليه وآله وسلم: خرج الإيمان سايره الى الكفر سايره.  
والثاني: عند قتل عمرو: الآن نغزوهم ولا يغزوننا.

**فلا تكفى حتى يطا جناحها بأخمصه ويحمد لها بسيفه<sup>(156)</sup>.**

وغير ذلك من المقامات لعلي عليه السلام وهي كثيرة رواها كتاب  
التاريخ والسيرة والمفسرون من المسلمين عامة بفخر واعتزاز.  
(156) انكفاً :انقلب عائداً، ويعتبر هذا الوصف عنواناً للفخر والعز فقد  
ورد في وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان اذا مشى تكفاً  
تكفياً أي تمايل الى قدام.  
ووطيه يطئه : داسه، وقد يأتى الوطئ بمعنى الايقاع والابادة والنيل،  
قال تعالى [ **لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ** ]<sup>(1)</sup>.

والجناح هنا عنوان الحركة والقدرة على الفعل، وفي الحديث : (ان  
الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم )، وفي تفسيره قيل انها تكون وطاً  
له اذا مشى لطلب العلم والتحصيل، وقيل انها تترك الطيران لتحضر  
مجالس العلم.  
وأخمصه: أي باطن قدمه.

والفقرة من الخطبة الشريفة توكيد لشجاعة أمير المؤمنين عليه السلام،  
وقهره لقوى البغي وجعلها عاجزة عن الحركة والسعي الخبيث في  
محاربة الرسالة الاسلامية.

لقد أرادت الزهراء عليها السلام بيان حقيقة ثابتة وهي ان الإمام علي  
عليه السلام حينما يبعثه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لمحاربة  
الكفار او يكلفه بمسؤوليات المواجهة والتصدي لهم يكون اهلاً لذلك  
فيحسن اداء العمل وانجاز التكليف بالطريقة المثلى، يحقق النصر  
ويشفي صدور المؤمنين ويجعل ايمانهم يقوى

ويُزاح ع نهم مقدار من التهديد والمكر والإيذاء، الأمر الذي تحتاج اليه  
مسيرة الاسلام وسبل نشره.

وفي التاريخ والسيرة شواهد كثيرة ومستفيضة تؤكد مضمون هذه  
الفقرة وان أمير المؤمنين عليه السلام لا يرجع الا بالنصر والظفر.  
انها آية عظمية تدل على الاسرار الملكوتية في شخص الإمام  
ام علي

عليه السلام، وهي باب فخر وعز لكل مسلم، ودعوة لأولي الالباب  
للانخراط في صفوف اهل الايمان.

وفي غزوة خيبر وبعد ان رجع ابو بكر ومن معه من المهاجرين  
والأنصار في اليوم الاول دون تحقيق النصر، وكذا عمر بن الخطاب  
في اليوم الثاني، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لا عطيين  
الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، كرار غير فرار، يأخذها عنوة )،  
وكان الإمام علي عليه السلام يشتكي عينيه ، فارسل اليه النبي صلى  
الله عليه وآله وسلم واعطاه الراية وشيَّعه بالدعاء، فقتل أمير المؤمنين  
عليه السلام مرحباً فارس اليهود يومئذ، وق لَع باب خيبر وجعله جسراً  
على الخندق ليعبر عليه المسلمون، وليكون آية اذ بقي المسلمون الذين  
حضروا الواقعة يتحدثون في المدينة والامصار كيف ان الجماعة  
والنفر منهم يحاولون تحريك الباب بعدئذ او رفعه فلا يستطيعون.  
وفي غزوة ذات السلاسل وبعد ان بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم  
ببعث لقتال الذين اجتمعوا في وادي الرمل لبيبيتوه في المدينة،  
وعاد البعث منهزمين، بعث علياً عليه السلام وانفذ معه جماعة من  
الأنصار والمهاجرين منهم ابو بكر وعمر ، فكبس القوم عند الفجر  
وهم غافلون.

ونزل جبرئيل بسورة العاديات، وقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم  
عند استقباله : (لولا اني اشفق ان تقول فيك امتي ما قالت  
النصارى في المسيح لقلت فيك اليوم مقالة لا تمر بمأ منهم إلا أخذوا  
التراب من تحت قدميك للبركة فان الله ورسوله عنك راضيان).  
والفقرة من الخطبة الشريفة بيان لفضل الإمام علي عليه السلام  
وافضل يته، والمهام الكبيرة والمسؤوليات الجسام التي تحمل اعباءها  
بتوفيق واهلية ساهمت وبصورة فعالة في ترسيخ دعائم الاسلام.